الناقد العربي والمسؤولية اللغوية

بقلم نازك الملائكة

تتجلى لمن يراقب النقد العربي المعاصر ظاهرة خطيرة شائعة فيه ملخصها ان النقاد يتغاضون تغاضيا تاما عن الاخطاء اللغوية والنحوية والاملائية وكأنهم يفترضون ان من حق اي انسان ان يخرق القواعد الراسخة وان يصوغ الكلمات على غير القياس الوارد وان يبتدع انماطا من التعابير الركيكة التي تخدش السمع المرهف ، وكأن من واجب الناقد ان يوافق على ذلك كله موافقة تامة فلا يشير الى الاغلاط ولا يحاول حتى ان يعطي تلك الاغلاط تخريجا او مسامحة . ولقد اصبح هذا التغافل هو القانون النافذ في كل نقد تنشره الصحف الادبية ، حتى لقد يتصدى الناقد الى نقد ديوان شعر مشحون بالاغلاط المخجلة فلا يزيد على ان يكيل كلمات الاعجاب للشاعر على تجديده وابداعه مهملا التعليق ولو بكلمة زجر عابرة على فوضى التعابير والاخطاء . افلا ينطوي هذا الموقف من النقاد على تشجيع واضح للجيل كله على الاستهانة باللغة العربية والاستخفاف بقواعدها الرصينة ؟والى اي مدى ينبغي ان يعد الناقد نفسه مسؤولا عن لغة الشعر المعاصر ؟

والواقع ان ازدراء الناقد الجانب اللغوي من النقد ليس الا صورة من ازدراء الشاعر نفسه للغة وقواعدها ، فان مصدر هذا الازدراء منهما واحد، وفي وسعنا ان نعود بالظاهرة الى منابعها الحقة في حياتنا المعاصرة نفسها . وليست اللغة ، بمختلف مظاهرها ، الا مرآة تنعكس فيها حياة الامة التي تتكلمها .

ان الجذور الرئيسية لهذه الظاهرة تختبىء في شبه عقيدة موهومة وقع فيها الجيل العربي المعاصر مؤداها ان الاهتمام باللغة والحرص على قواعدها المختلفة ، يدلان على جمود فكري في الاديب وقد يشيران الى نقص صريح في ثقافته الحديثة . وقد تبلورت هذه العقيدة الزائفة في انفس الشعراء والكتاب حتى اصبحت تعني لديهم ان التجديد يتجلى فعلا في ازدراء القواعد النحوية واهمال القاموس والمقاييس اللغوية التي تعترف بها الامة كلها .

ولعل الناقد العربي اليوم ملزم بان يعترف بانه بات يشعر بكثير من الحرج والاستحياء اذا ما هم بتنبيه شاعر الى كلمة مغلوطة او قاعدة مخروقة في شعره ، ليس ذلك لانه يقر الخطا ، وانما لانه يخشى ان يقال عنه انه ناقد رجعي لم يتصل بالنيرات الحديثة في النقد ولم يسمع بعد بان المضمون اهم من الشكل او انه العنصر الاوحد في القصيدة التي ينقدها .

ان القول بأهمية المضمون وسبقه لكل قيمة غيره في القصيدة قول شائع اليوم . وهناك زمرة من النقاد تشهره سلاحا بتارا في وجه كل ناقد يحرص على سلامة اللغة . حتى لقد قامت مدارس بعينها تدعو الى هدم القواعد باسم هذا وذاك من الاسباب الواهنة . ولم ترتفع ، في ردع هذه المدارس ، الا اصوات خافتة خجلة مالبث الصياح حتى أسكتها . وليس لهذا الصياح — في نظر العلم — اسم غير الارهاب الفكري . وان واجب الناقد المخلص ليقتضي ان يعلن رأيه ولا ترهبه التسميات . ذلك ان الاسماء انما تكتسب قيمتها من الحقائق التي تسندها . ثم ان قضية اللغة العربية يجب ان تكون اعز علينا من سمعتنا الشخصية ككتاب مجددين ذوي ثقافة حديثة . وبعد فهل حقا تستطيع الدعوة الى سلامة اللغة ان تهدمنا كنقاد مجددين ؟ وهل حقا ان سلامة اللغة ليست شرطا في جمالية القصيدة ، كما يزعم بعضهم ، وكما يريدوننا ان نصدق ؟ وهل يسوغ لاي ناقد ، مهما كان حديثا في ثقافته ، ان يتحدث بلغة النظريات والتحليلات عن اية قصيدة حافلة بالاغلاط المشوهة والتعابير الركيكة ؟

ان الامة العربية تمر اليوم بمفرق هام من مفارق حياتها ونحن ملزمون بان نعمل ، كل في الجهة التي تؤهله لها فطرته ، في سبيل ان نرفع مستوانا ونبرز مواهبنا ونتنتج في الحقول كلها . وعلى الناقد العربي يقع قسط كبير من حماية اللغة العربية الجميلة من كل دعوة مريضة العبث بها . ان هناك اليوم مدارس بعينها هدفها الرسمي ان تهدم قواعد االغة العربية وتقضي عليها قضاء مبرما . وسواء أكانت هذه المدارس تصدر في دعوتها عن نزوة فكرية بريئة ، ام كانت تتعمد — لغرض مبيت — ان توهن من قوة اللغة العربية وتهدم اصالتها، فان علينا ان نتصدى لها ونناقش دعوتها مناقشة الحريص الذي يغار على لغة الضاد من ان يعبث بها عابث غير مسؤول . وانه ليحزننا ان نرى اكثر نقادنا غير

> **« اني لاهيب بالجيل الناشيء من النقاد ان يتجهوا الى انفسهم حين يكتبون لينبت الذهن العربي الخصيب أثماره ، وسرعان ماسوف تكتشف الامة المنابع الحقة في كيانها الفكري ، المنابع العربية التي لن يغتني الاديب العربي بسواها ، ولا مصلحة له في سواها . »**

« الآداب » تقدم :

في مطلع العام الجديد

الأدب الثوري !

عدد ممتاز يصدر في آخر ديسمبر القادم

ويحتوي على مجموعة كبيرة من الابحاث والدراسات والقصص والقصائد، تعيش «الوضع الثوري» الذي يحياه مجتمعنا العربي اليوم

احجز نسختك من هذا العدد الممتاز الذي يحرره عدد كبير من ادباء الطليعة من مختلف البلاد العربية

عابثين . والا فما الذي جعلهم يسكتون سكوتا متصلا على الظاهرة اللغوية الخطيرة التي بدات منذ سنين تشيع في شعر المدرسة اللبنانية الحديثة ، ظاهرة العبث بالقواعد النحوية الراسخة واخضاع اللغة للسماع الشاذ الذي لايعتد به ؟ لماذا لم يحتج اي من نقادنا على « ال » التعريف وقد راح جيل كامل من شباب لبنان يدخلها على الافعال فيقولون في مثل الاشطر التالية :

اقفاصه الترنّ في الهياكل
الاروقة المعاول
الترن في الشوارع الغوائل
والاكهف المنازل
التود ان تحبس بي الحياة والتجددا

ولماذا سكت الناقد العربي على دخول « ال » هذه على المنادى بـ « يا النداء » في مثل الابيات التالية :

يا الفلك الدائر يا اليوزع الحياة في فصولها
يا اليبخبخ المطر
يا اليلبد السماء الصحو بالعواصف القواصف

أن دفاع بعض هؤلاء الشعراء بان هذه الاساليب السقيمة قد وردت في شواهد النحو (١) دفاع ضعيف . ذلك اننا قد خرجنا اليوم من بداوة القرون الاولى التي كانت تعزل بطنا من قبيلة في مكان ما فتجعل لهجته تشذ وتنحرف . ولقد ثبت القرآن ، بلغته السهلة الجميلة ، صورة للغة العرب سارت عليها القرون واغنتنا عن الشذوذ والعبث . **ثم ان قواعد النحو ليست الا صورة من القوانين المنتظمة التي تخضع لها الجماعات ، والجماعة التي تضيع قواعد لغتها لا بد ان تضيع قواعد تفكيرها وحياتها بالتالي. ان لزوم القاعدة النحوية صورة من احساس الامة بالنظام ودليل على احترامها لتاريخها وثقتها بنفسها كأمة أصيلة.** وما القواعد النحوية بعد الا عصارة الالسنة العربية الفصيحة عبر مئات من السنين ، فلن يكون في وسع شاعر اليوم ان يلعب بها اطاعة لنزوة لغوية عابرة .

ولنتساءل ، على كل حال ، عن المكسب التعبيري الذي يحققه الشاعر من ادخاله (أل) على الفعل مثلا . ولا بد ان يسوقنا هذا الى ان نتساءل اولا لماذا كانت الافعال غير قابلة لدخول « أل » عليها ؟ في الواقع ان قواعد النحو تخضع لمنطق العاطفة الانسانية خضوعا تاما ، وما من قاعدة معقولة قط الا وفي وسعنا ان نلتمس لها سببا انسانيا يدعمها . وانما تدخل « أل » على الاسماء لانها اسماء ولها صفة الاسمية ، او صفة التجريد بكلمة اخرى . فالاسماء كلها مجردة من الزمن ومن الحركة ومن العاطفة . ومثلها في هذا الصفات . ان وجودها جامد لا ينمو ولا يتغير ولا تأثير لمشاعرنا فيه . وليست كذلك الافعال . هنا ، في الافعال ، يمتد مجال الانسانية وتعيش احاسيسنا وحركاتنا وتقلباتنا وحياتنا كلها . ان قولنا « جاء » يملك من الحياة الزاخرة ما لا يملكه الف اسم والف صفة . هذه الحركة التي ينطوي عليها فعل المجيء ، وهذه الانسانية الكاملة التي تتضمنها ، وهذا الزمن الذي يختبيء في ثنايا الحروف كل ذلك يميز الفعل ويجعله اوثق ارتباطا بالحياة نفسها . ولذلك كان الفعل أشرف ما في اللغة واليه تستند الجمل والعبارات . الفعل هو حقا انسانية اللغة اذا صح هذا التعبير . ومن ثم فأية خسارة جسيمة أن تدعو مدرسة كاملة الى ان نضيع هذا الفعل ونكتب بلغة خالية منه ؟ ذلك ان ادخال «أل» على الفعل يعني حتما ان يكف الفعل عن

---

(١) وردت شواهد شاذة من الشعر القديم تسند هذه الاغلاط فدخلت (أل) على الفعل في اكثر من شاهد واحد المشهور منها :

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الاصيل ولا ذو الراي والجدل

ودخلت « أل » على المنادى في قول الشاعر :

فيا الغلامان اللذان فرا اياكما ان تعقبانا شرا

ان يكون فعلا ويكتسب جمود الاسمية (١) . والواقع انه ـ اذا تأملنا ـ يتحول الى نوع من « الصفة » ويفقد طابع الامتداد الزمني . وذلك هو السبب في الجفاف الماحل واليبوسة القاسية التي نجدها في الابيات التي اقتبسناها سابقا :

أقفاصه الترن في الهياكل
الاروقة المعاول
الترن في الشوارع الغوائل
والاكهف المنازل

هذا ، في الحق ، كلام صلد لا ليونة فيه ولا عذوبة تترادف فيه المجردات التي توحش القلب الانساني وتشعره بجفاف الدنيا لتي يصورها الشاعر . وكم كانت الابيات تكتسب من الحرارة والحركة والطراوة لو ان الشاعر اعطانا أفعالا طبيعية تتنفس بين الاسماء وتخفف من وحشة التجريد فيها . ولكن هذا الشاعر الحديث يحسب القواعد فيما يلوح قيودا مرتجلة قيدنا بها اسلافنا النحاة دونما سبب موجب . ولذلك رضي ان يغبن قصيدته فيحرمها من اجمل ما فيها ، من الافعال التي هي مصدر الضوء والدفء في اللغة . ثم ان «أل» هذه حين تكثر تزعج السمع وتصبح رتيبة ولا ادري لماذا يولع شعراء هذه المدرسة بها . هذا أحدهم :

الوحدة الفراغ
والدم الصقيع
والركود السأم الجامد

هذه ثلاثة اشطر من قصيدة (وسأحتفظ باعتراضاتي الكثيرة على تشكيلات الوزن فيها) . ستة أسماء وصفة . والكل معرف بأل . ما اشد ما تبدو الدنيا موحشة ميتة لنا ونحن نعيش بين كل هذه المجردات . واي بعد بين هذه الدنيا وحياتنا العربية الملتهبة اليوم بحرارة النضال وحماسة الاندفاع والحياة .

وبعد فمهما كانت هذه الدعوة وأمثالها بريئة من القصد السيء فهي على كل حال دعوة مجحفة تنطوي على بذور مميتة لن تنتهي باللغة العربية الى الخير . وقيام مثل هذه الدعوات يلقي على الناقد مسؤولية خطيرة . فمن سواه يستطيع ان يتصدى لانقاذ اللغة والشعر من أن ينقادا لدعوات الموت والفناء هذه ؟ اننا لندرك ان هناك اليوم في صفوف هذه الامة قوى متربصة تنطوي على الشر وسوء النية ويهمها ان تهدم العروبة على اي وجه يتاح . ولعل الحرب العلنية ليست أفظع وسائل هذا العدو في محاربتنا فان له اساليب اخرى أخفى واشد مضاء . **وهل أخطر من ان نضعف ايمان الجيل الطالع باللغة العربية وحصانة قواعدها السليمة ؟ واذا أضعفنا ذلك الايمان افلن تكون قد ساعدنا في خلق جيل ضعيف الثقة بالعروبة نفسها** ؟ انه ليحزننا ان نقول اننا حتى الان قد مضينا في هذا طويلا وان بين ايدينا الان جيلا يتشكك في منطقية القواعد البديهية ويستخف باللغة معتقدا ان الاستهانة بالمقاييس اللغوية امر ينم عن التجديد الحق والتحرر الفكري . واني لاجزم ان بين كتاب « الاداب » نفسها فئة تؤمن بان التنبيه الى اغلاط النحو واللغة مظهر ضحالة ورجعية في ثقافة الناقد . وقد تكون اول تهمة توجه الى هذا الناقد انه غير مثقف في النقد الادبي الحديث .

على اننا لا ندعو الى التمسك بقواعد اللغة لذاتها . ولسنا نحب ان ننصب مشانق ادبية لكل من يستعمل لفظة استعمالا يهبها حياة جديدة او يدعو الى الاستغناء عن بعض شكليات النحو البالية التي لم نعد نستعملها . لا بل اننا نؤمن اعمق ايمان بالتجديد المبدع ونعتقد ان هذا التجديد لا يتم الا على ايدي الشعراء والادباء والنقاد المثقفين الموهوبين . غير ان هذا كله شيء والعبث بالمقاييس شيء اخر . **نحن نرفض بقوة وصرامة ان يبيح شاعر لنفسه ان يلعب بقواعد النحو واللغة لمجرد ان قافية تضايقه او ان تفعيلة تضغط عليه** . وانه لسخف عظيم ان يمنح الشاعر نفسه اية حرية لغوية لا يملكها الناثر (١) . فمن قال ان الشاعر الموهوب يستطيع ان يبدع اي شيء في غير الاطار اللغوي لعصره ؟

ان كل خروج على القواعد المعتبرة ينقص من تعبيرية الشعر ويبعده عن روحية العصر . ولسنا ، على كل ، نفهم لماذا يريد الناقد ان يكون الشاعر الحديث طفل اللغة المدلل فيخطيء ويرتكب المحذورات ما شاء دون ان يحاسب ؟

★

بعد ان شخصنا جوهر الظاهرة التي لفتت نظرنا في نقدنا المعاصر وفسرناها بانها في حقيقتها موجة من العناية بالمضمون جرفت النقاد العرب اليوم حتى أهملوا الاداة التي يعبر بها عن ذلك المضمون ، بعد ذلك نود أن ندرس صلة هذه الظاهرة بتاريخنا الادبي وبحياتنا القائمة . فما من ظاهرة ادبية الا ولها جذور اجتماعية تتصل بالحياة النفسية للامة . فهل هذه الظاهرة اصيلة ؟ هل تنبع من موقفنا كأمة تتحدر من مثل تاريخنا الادبي العربي ام انها بمجملها ظاهرة دخيلة وافدة على حياتنا وفودا متعسفا على نحو ما وفدت عشرات الاشياء الاخرى من الغرب ؟

ان الظواهر الادبية تخضع للقانون العام الذي يتحكم في الظواهر كلها . فكل ظاهرة مندفعة في الامة تعبر عن

---

(١) يعرب النحاة «أل» التي تدخل على الفعل على انها « الموصولة » والذي نراه ان هذه مجرد تسمية . فان « أل » الموصولة اذا درسنا امثلتها ليست الا «أل» التعريف نفسها . وانما اراد النحاة بها ان يفرقوا بينها وبين التي تدخل على الاسماء . ونحن نرى ان (الذي) وسائر الموصولات ليست الا وسائل تحاشى بها اللسان العربي ادخال أل التعريف على الفعل وبذلك حفظ له فعليته واصالته . وهذه هي القيمة الوحيدة للموصولات وهي قيمة عظيمة لا ندري لماذا لم يعد هذا الشاعر الحديث يقدرها .

(١) هذا رأينا ، رغم علمنا بوجود باب اسمه « الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر »

وجود نقص ما في الاتجاه الذي تندفع نحوه الظاهرة . واذا بالغنا اليوم في العناية بالمضمون ، فان معنى ذلك ان في اعماقنا احساسا باننا كنا سابقا نبالغ في العناية باللغة حتى اختل التوازن . وذلك حق ومن واجبنا ان نعترف به . ان ادبنا الحديث قد خضع لحركة التموج التطوري الطبيعي فانتقل من تطرف ادباء الفترة المظلمة في التمسك بشكليات الشعر ومظاهره السطحية الخارجية الى تطرف عصرنا في اهمال المظاهر الخارجية . على ان العشرين سنة الماضية من حياة الشعر العربي لا بد ان تكون قد استوفت حركة رد الفعل هذه استيفاء تاما . هذا فضلا عن أن ردود الفعل يجب الا تقودنا من خطأ في اقصى اليمين الى خطأ في أقصى اليسار . فكلا اليمين المتطرف واليسار المتطرف خطأ في هذه الحالة ولا بد لنا ان نقف في الوسط مسيطرين تمام السيطرة على المضمون والاداة في وعي واتزان . والا فلا بد لنا ان نبقى اطفالا مخطئين الى الابد نضيع مرة الشكل لفرط حرصنا على المضمون ونضيع في المرة التالية المضمون بسبب ايثارنا للشكل .

والواقع ان السبب المباشر في استمرار حركة رد الفعل هذه اطول مما يصح هو ان الناقد العربي يقف اليوم وقفة خشوع وتقديس امام النقد الاوربي ونظرياته الوافدة ، وكأن ذلك النقد نموذج في الابداع والعبقرية لا يمكن ان يصله الفكر العربي الا بالتقليد والاقتباس والنقل . وفي غمرة هذه العقيدة الواهمة اغلق الناقد العربي الباب على منابع الفكر والخصوبة والموهبة في ذهنه وراح يغترف من معين الاساتذة النقاد الاوربيين دون ان يفطن الى ان النقد الاوربي يتحدر من تاريخ منعزل انعزالا تاما عن تاريخنا . وكيف يتاح لنا ان نطبق اسس ذلك النقد الاجنبي على شعرنا الذي يتدفق من قلوب غير تلك القلوب وعصور غير تلك العصور؟ كيف يتاح لنا ان نحقق ذلك التطبيق الا بطفرة متعسفة ظالمة يقع القسر فيها والضغط على الشعر العربي اكثر مما يقع ؟ ومن يجرؤ ان يزعم ان الذهن العربي ليس مفعما بالخصب والحياة ، واننا لا نقتله قتلا عندما نضغطه في قوالب من التفكير الاوربي جاءونا بها مؤخرا وشهروها في وجوهنا ؟ اننا لا نصدر في عقيدتنا هذه عن تعصب ولا عن ضعف ايمان بغنى الاداب الاوربية وجمالها . **ولكننا نقول – نصر على القول – ان لآدابنا العربية شخصيتها المستقلة وان النقد الذي يصلح لشعرنا يختلف بالضرورة عن النقد الاوربي ولا بد لنا ان نستقريء نحن نحن القواعد ، من شعرنا ، ومن أدبنا، في هذا الوطن العربي، وباللغة العربية.**

وليست الظاهرة التي ندرسها في هذا المقال الا نموذجا واحدا من نماذج كثيرة للضلال المحزن الذي يقع فيه الناقد العربي اذا هو أسلم قياده مغمض العينين للنقد الاجنبي الوافد . ذلك ان الناقد الفرنسي مثلا قلما يحتاج الى ان يفرد بابا لنقد الاخطاء اللغوية والنحوية على نحو ما يحتاج الناقد العربي وذلك لمجرد ان المادة التي ينقدها ذلك خالية من الاخطاء فعلا . واذن فعلى اي وجه يستطيع الناقد العربي ان يقلده وهو يواجه قصائد مثقلة بالاغلاط ؟ ان المحاكاة في هذه الحالة لا تتم الا بان يتخلى الناقد العربي عن مسؤوليته فيقف متفرجا على هموم القصيدة العربية تاركا شعرنا يعاني من مشاكله دونما يد تمد لانتشاله او صوت في الدفاع عنه .

على ان النقد الاوربي لا يقف في ضرره عند هذا وانما ينصب لناقدنا شركا اخطر واشد . هذه النظريات الادبية المتعة ، وتلك المذاهب الفلسفية والمدارس التحليلية في النقد الاوربي، هذه الدراسات الباهرة التي يكتبها الناقد الاجنبي هناك ... انها تعمل في نقادنا عمل السحر فتبهرهم وتسكرهم وتفقدهم اصالة اذهانهم وتصيب حواسهم المبدعة بشيء يشبه التنويم . فما يكاد الناقد العربي اليافع يقرأ ما يكتبه اليوت ورتشردز وبرادلي ومالارميه وفاليري وغيرهم حتى يشتهي أن يطبق ما يقولون على الشعر العربي مهما كلفه ذلك من تصنع وتعسف وجور على شعرنا ولغتنا . ويكون اول ما يضحي به هذا الناقد هو الجانب اللغوي من القصيدة العربية فبدلا من ان يتناول القلم ويرفع صوت احتجاج على الشذوذ والاغلاط نجده يهمل ذلك ويعتبر القصيدة منزهة لكي يتاح له ان يحللها ويغرقنا خلال ذلك بسيل من الاصطلاحات الاجنبية التي لا تنطبق على شعرنا اطلاقا ولم توضع له .

– التتمة على الصفحة ٧٧ –

دار الاداب تقدم

الطبعة الثانية من

قرارة الموجة

الديوان الرائع للشاعرة

نازك الملائكة

تصدر هذا الشهر

الناقد العربي والمسؤولية اللغوية

– تتمة المنشور على الصفحة ٥ –

ان هذا الناقد العربي الذي يتحرق شوقا الى ان يجاري الناقد الاوربي في حديثه عن المدارس والنظريات الكبيرة ذات الطابع النفسي والفلسفي ، لا يجد امامه الا قصائد عربية مزرية، ضعيفة الانشاء، يتعثر السمع بغلطة عروضية في كل ثلاثة أشطر منها . ومن ثم فانه مضطر اضطرارا الى ان يغمض عينيه عن عيوبها ، لكي يتاح له ان يعيش في جنة النظريات المسحورة التي استقاها من النقد الاجنبي . وبهذا يتغاضى عن مشكلة قائمة تحت بصره لكي يتحدث عن مشكلة مستحبة يود لو وجدت بالرغم من كل شيء.

ان اللوم في هذا كله لا يقع على نقاد اوربا الذين لم يوفقوا ليسيروا في مقالاتهم الى اخطاء لغوية ونحوية كالتي يجب ان يشير اليها الناقد العربي . وانما نحن الملومون . فلماذا ينبغي ان يعنينا النقاد الاوربيون اذا كانت القصائد التي نتناولها نحن بالنقد مثقلة بمشاكل من نوع لا يحلمون هم به ؟ ولماذا نحكم اولئك النقاد الاجانب في الشعر العربي الذي يتحدر من تاريخ لاصلة له بتاريخهم الادبي ؟ وما هذه « العنجهية » التي تجعل الناقد العربي يتعالى عن مواجهة مشاكل شعرنا الواقعية لمجرد ان الاساتذة المترفين من نقاد الغرب لا يتناولون مشاكل مماثلة في شعرهم ؟

هذا الموقف العجيب ينم عن ان الناقد العربي لا يرى في عملية النقد الا ترفا فكريا ووسيلة يستعين بها على اللعب بنظريات النقد الاوربي . فليس المهم ان يدرس مشاكل الشعر العربي لكي يضع الاسس الموضوعية لنقد عربي حديث وانما المقصد ان يشغل نفسه بتطبيق النظريات الاجنبية على هذا الشعر باي ثمن . ان واقع شعرنا ليس هو الذي يملي على نقادنا ما يكتبون وانما ينقدون ليسلوا انفسهم ويسلونا بالكلمات الكبيرة المتعة التي ابدعها الاوربيون في اوقات فراغهم . والحق ان مسؤولية الناقد العربي الحق تقضي عليه اليوم بالا يكون له فراغ قط . ذلك أن شعرنا – كسائر جهات حياتنا العربية – مثقل بالمشاكل ، وفي وسع همومه ان تشغلنا اعواما طويلة قبل ان نفرغ لتطبيق النظريات المتعة عليه . ولعلنا نعترف كلنا بان الشعر العربي– بعد الحرب العالمية الثانية – قد واجه صدمة غير هينة بسبب الدعوة المتطرفة الى الحرية حتى بدأت علامات الاحتضار تلوح على غير واحدة من المدارس الحديثة ، واذا لم نتدارك هذا الشعر فسرعان ما سيموت . فهل نريد حقاان نمضي في اللعب بالنظريات الاوربية والكلمات الاجنبية ذات البريق والسحر ؟ ام ان الشعر العربي سيعز على نقادنا فيقفون صفا واحدا ليسندوه ؟!

ومهما سيكون موقفنا فلعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان موقف نقادنا من الفكر الاوربي يكاد يكون موقف استخذاء . ان بعضهم يعتقد اعتقادا جازما اننا اقل موهبة من شعراء الغرب وان علينا ان نغترف نظرياتهم ونأكلها اكلا اذا نحن أردنا ان ننشيء شعراً عربيا ونقدا . **لا بل انا اقول ان مادة شعرنا وحياتنا العربية اغنى واخصب بكثير من مادة الشعر الاوربي المعاصر – لاسباب منطقية لا محل الان لبسطها – وان موجة تجديد جارفة سوف تنبعث من عالمنا العربي هذا ولسوف يتتلمذ الغرب على شعراء هذه الارض الموهوبة ونقادها وادبائها في يوم قريب .** ولكن هذا لن يحدث الا بعد ان نؤمن بانفسنا . ان الامم المبدعة هي دائما امم تثق بانها موهوبة . واما الامم التي تزدري ذاتها وتقف وقفة الهوان امام سواها فلن نبدع شيئا على الاطلاق . فلنكف عن الانحناء للغرب . اننا قد سئمنا سماع الكلمات الفرنسية والانكليزية في النقد العربي واصبحنا نعطش الى نقد محلي ، التجديد فيه منبعه العروبة ، والمصطلحات فيه ترتكز الى مظاهر في الشعر العربي نفسه واني لاهيب بالجيل الناشيء من النقاد ان يتجهوا الى انفسهم حين يكتبون لينبت الذهن العربي الخصيب أثماره ، وسرعان ما سوف تكتشف الامة المنابع الحقة في كيانها الفكري . المنابع العربية التي لن يغتني الاديب العربي بسواها ولا مصلحة له في سواها .

نازك الملائكة بيروت

كتابان خطيران

عارنا في الجزئر : لجان بول سارتر

الجلادون لهنري اليغ

ترجمة عايدة وسهيل ادريس

دار الاداب